الفصل الثالث عشر

التغير السياسي

١- التغير الداخلي:

الخلاف بين سياسة المحافظين والإصلاحين:

اتسمت سياسة إيران منذ سنواتها الأولى بتولي العناصر الدينية المحافظة داخل مجلس الشورى والمجالس الأخرى، كما أن من الواضح توجهات الحرس الثوري كانت تتسم بالتعصب والعنف والقبضة الشديدة في الداخل والخارج، وقد تمثلت هذه السياسة برئيس الجمهورية أحمدي نجاد، الذي كان أستاذًا جامعيًّا وسياسيًّا إيرانيًّا، وأصبح عمدة لبلدية طهران، ولد عام ١٩٥٦م في مدينة غر مسار التابعة لمحافظة سمنان شمالي إيران، وبعد تخرجه من الجامعة في عام ١٩٧٩م والماجستير ١٩٨٩م من جامعة العلوم والصناعة، عين محاضرًا في الهندسة في الجامعة نفسها، ثم انضم فيما بعد متطوعًا بالحرس الثوري، وفى الحرب العراقية الإيرانية التحق نجاد بجبهات القتال، ثم التحق باللواء الخاص التابع لحرس الثورة بصفته مهندسًا عسكريًّا، وأهم مرحلة في حياة أحمدي نجاد كانت فترة ترشحه لمنصب الرئاسة في إيران، حظي فيها بدعم المحافظين الأقوياء، وقيل: إنه لم يصرف على حملته تلك أي أموال، وهو محسوب على التيار المحافظ، الذى يتزعم أيدولوجيته عالم الدين الفيلسوف محمد تقي مصباح اليزدي، وهو مقرب من قائد الثورة علي خامنئي، ويتمتع نجاد بشعبية كبيرة في إيران، فقد كان حاكمًا في إردبيل، ونشأ في أسرة فقيرة، واتسمت خطاباته بإصلاح أوضاع الطبقة الفقيرة، وبمجابهة سياسة الغرب وإسرائيل، كما كانت لا تخلو خطاباته من التعصب ضد بلاد العرب،

ولهذا كانت سياسته محل شد وجذب وخلاف فيما بعد مع المرشد علي خامنئي ومع مجلس الخبراء، الذي استخدمه المرشد ضد نجاد لتعديل بعض توجهاته، خاصة ما يتعلق منها بالاقتصاد والميزانية والبنوك، والنفط فقد أزاح نجاد من طريقه الكثير من الخبراء والتكنوقراط العاملين في تلك المجالات، فكان ذلك سببًا للهجوم على سياسته وإضعافها، وفي الجانب الآخر لسياسة المحافظين تظهر سياسة الإصلاحيين من اليمين الديني، والمتمثلة في رفسنجاني ومحمد خاتمي، والأخير متهم بالثراء هو وقبيلته، واستخدام هذه الثروة لمقاصده السياسية، كما اتهم الإصلاحيون بانتشار الفساد الاقتصادي والاجتماعي في عهدهم، ولكنهم كانوا أخف قبضةً على المجتمع الإيراني، فكانوا يعطون هامشًا من حرية الرأي للكتاب والصحف خلافًا للمحافظين، كما أن سياستهم الخارجية لا يظهر عليها التوتر مع أوروبا وأمريكا والبلاد العربية، وتظهر بتسامح وعدم التشدد لا يرغبون في التدخل المباشر في شؤون البلاد العربية، ولكنهم لا يمانعون بامتداد مذهب التشيع بالوسائل السلمية وعدم استخدام القوة، مما جعل الغرب يستخدم سياسة الإصلاحيين لصالحة محاولًا تعديلها، لما يتناسب معه خاصة فيما تعلق منها بالملف النووي والتسليح، ومن خلال المشهد السياسي الإيراني يلحظ أن مرشد الثورة هو الذي يسيطر على التوازنات بين تيار المحافظين والإصلاحيين، يتحكم فيهما عن طريق مجلس الخبراء ومراقبة الدستور ومجلس الشورى، وقد يصل الحال إلى تحديد أسماء المرشحين إلى انتخابات مجلس الشورى، يعمل ذلك حسب رأيه لمصلحة إيران. ولكن عمومًا إن قبضة المحافظين المتشددين على الحكم هي السائدة في إيران، يساعدهم على ذلك طبيعة النظام والدستور وقوانين الانتخابات، فقانون الانتخاب عندهم لا يمكن أي مرشح من ترشيح نفسه لمجلس الشورى، إلا بموافقة مجلس الخبراء، وقد كتب مهدي كروبي رئيس مجلس الشورى السادس رسالة مطولة إلى آية الله مشكيني رئيس مجلس الخبراء، طالبه فيها بتعديل قانون الانتخابات، لتتمكن

العناصر الإصلاحية الجديدة لتوسيع قاعدة الحكم، والعنصر الثاني الذى مكن المحافظين من تشديد قبضتهم، هو وجود المتشددين على رأس الأجهزة التنفيذية في الحكومة، والقوة العسكرية مع أن المطالب الشعبية كانت مستمرة بوجوب الإصلاح والابتعاد عن الأساليب الاستبدادية في الحكم، فبعد ٢٥ سنة من الثورة تقدم ٣٥٠ شخصًا من علماء دين، وأساتذة جامعات، ورجال مجتمع، بمذكرة إلى المرشد علي خامنئي، طالبوا فيها بالإصلاحات المتعلقة بمشروعية الحكم، وطالبوا بتوسعه قاعدة الحكم الشعبية، وعدم اقتصارها على نماذج معينة سلفًا، كما طالبوا بالعمل وإنجاز الوعود المتعلقة بالقضاء على الفساد وإغاثة المحرومين[1].

أهم التغيرات بعد الثورة:

لقد أنهكت الحرب العراقية الإيرانية اقتصادها، وحاولت إيران إيجاد مصادر للإنفاق العام للدولة، فأنشأت لهذا الغرض (مؤسسة المحرومين والمعاقين)، جمعت لها أموال الأشخاص الهاربين من إيران وعقاراتهم، والصادرة بحقهم عقوبات، صادرت بموجبها أموالهم وممتلكاتهم، فتكون من ذلك ما يقرب من ٣ مليارات دولار. كما أنشأت شركات باسم (خاتم الأنبياء)، لتنفيذ المشروعات الصناعية والبنية التحتية والصناعات النفطية. كما اهتمت الحكومة بالصناعات الحربية، وخاصة صناعة الصواريخ البالستية، حيث قاموا بتطوير بعض صواريخ روسيا وكوريا الشمالية. كان هناك شباب ملتفين حول الخميني في النجف إبَّان تواجده في تلك المرحلة تدرب هؤلاء الشباب في جنوب لبنان، فكانوا ينادون بمحاربة إسرائيل، وكان من أخصهم مصطفى شمران الذي أصبح وزيرًا للدفاع سنة ١٩٨١م، وقتل في الحرب العراقية، وأصبح

(١) طلال عتريسي: (الجمهورية الصعبة إيران في تحولاتها الداخلية وسياستها الإقليمية)، ص٥٣ وما بعدها، دار الساقي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦م.

تمدد النفوذ الإيراني على الشكل الذي سمى بالهلال الشيعي لا يخفي على أحد مدعين مقاومة إسرائيل وأمريكا. وازداد التضييق على السنة، حيث لا يسمح لهم ببناء المساجد أو القيام بأنشطتهم الدينية، ومسجد السنة الوحيد في مشهد قد تم حرقه سنة ١٩٩٤م. خطوط إنترنت ٢٣ مليون مستخدم، وفي مجال النفط فقد تأثر استخراج النفط وبيعه بسبب الحصار وضعف رؤوس الأموال المتعلقة بتحديث صناعة النفط، إن إيران تملك مخزونًا نفطيًّا كبيرًا، وقد استغلته بعد اكتشافه شركات بريطانية تم تأميمها سنة ١٩٥٣م، ثم أعطي استغلال النفط إلى مجموعة من الشركات الأمريكية والأوروبية في عهد الشاه رضا بهلوي، وقد أصر الشاه على رفع أسعار النفط، مما أغضب أمريكا وأوروبا، وبعد مجيء الثورة الإسلامية انخفض انتاج النفط.

وكانت إيران منذ عهد الشاه قد اهتمت ببعض الصناعات الثقيلة: كصناعة السيارات والتركتورات الزراعية والصناعات الغذائية والسجاد. وتبلغ صادرات إيران الزراعية ١٣٪ من الصادرات، وكان النفط يمثل خمسًا وثمانين بالمئة من الصادرات، وتعد دبي والإمارات بوابة اقتصادية مهمة لإيران، لعبت دورًا مهمًّا زمن الحصار، فكثير من الشركات الإيرانية يكون مركزها الرئيس في دبي، ولها فرع في طهران. مع اهتمام الدولة بالتعليم لكن إيران بقيت في عزلة عن العالم الخارجي، في حين يرغب الشباب الإيراني التواصل مع التطورات العلمية. حيث بلغ استخدامات خطوط الإنترنت ٢٣ مليون مستخدم، ولكن الأوضاع الاقتصادية السيئة حيث بلغ التضخم ٢٠٪ سنويًّا، وازدادت البطالة حيث تقدر بـ ٢٠٪ من السكان المتعلمين، وخاصةً الدراسات العليا أغلبهم لا يرجعون إلى إيران، فقد ورد أن ثلاثة أرباع الحاصلين على الماجستير يخرجون، ولا يعودون إلى إيران[١].

(١) برنار أوركاد: جغرافية إيران السياسية، ص١٤٠، لبنان، طرابلس، ٢٠١٢م، (جروس برس ناشرون).

٢- التغير الخارجي:

بداية تغير السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط:

بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م المتعلقة باتهام القاعدة في أفغانستان وبن لادن بتدبيرها، بدأت أمريكا في التفكير والاعتقاد بأن الخطر القادم ليس من إيران الشيعية، ولكن من السنة المتطرفين، الذين أطلقت عليهم (الإرهابيين المسلمين)، والتقت أمريكا وإسرائيل على هذه الفكرة، التي عززت موقف إسرائيل من الفلسطينيين والعرب عمومًا، ومن هنا كونت أمريكا تحالفًا دوليًّا لقتال طالبان والقاعدة، ومن هنا أيضًا احتاجت أمريكا لإيران لاستخدام نوازعها المذهبية الشيعية ضد السنة، وقد سهل ذلك أن إيران منذ التسعينيات كانت متحالفة مع التحالف الشمالي الأفغاني ضد طالبان بقيادة أحمد شاه مسعود، والمؤيد من قبل روسيا والهند. وقد قدمت إيران لتحالف الشمال السلاح والمال، فعرضت إيران على أمريكا المساعدة ضد طالبان، فاشتركت في حضور مؤتمر بون ٢٠٠١م لإعداد خطة لمحاربة طالبان، وما يمكن لإيران أن تقدمه بخصوص القواعد العسكرية ومحاصرة الهاربين والقبض عليهم، وما إلى ذلك من تقديم المعلومات الاستخباراتية، خاصة وأن قبيلة الهذارة الشيعية الأفغانية والساكنين على الحدود الإيرانية، يستطيعون تقديم دعم ومساعدة بهذا الصدد، وبعد انتهاء حرب أمريكا وإسقاطها لطالبان أدرك الإيرانيون والأمريكان فائدة التقائهما، حيث أفادت إيران من إزاحة التهديد الأفغاني السني، ورغبت إيران من استمرار التفاهم مع أمريكا، خاصة ما يتعلق بالإرهاب وبملفها النووي، وقد عرضت إيران على أمريكا تكوين جيش من الأفغان على حدودها، يقدر بـ ٢٠ ألف جندي، تقوم إيران وأمريكا بتدريبهم بقصد إحكام السيطرة على أفغانستان، ولكن أمريكا لم توافق على ذلك، وشعرت إسرائيل بأن أمريكا تخذلها من جهة اتصالها وضغطها، لتبني حل الدولتين مع الفلسطينيين. وفي (سنة ٢٠٠٢م

قبضت البحرية الإسرائيلية في البحر الأحمر على السفينة (كارين إيه) يقودها بحار فلسطيني، محملة بأسلحة من صواريخ كاتيوشا وقذائف مورتر... مصدرها جزيرة كيش الإيرانية، فأبلغ شارون أمريكا واستمرار علاقة إيران بالفلسطينيين. فأنكر خاتمي صلة إيران بها، ولكن أمريكا بقيت في شك من اتهام إسرائيل لإيران بالإرهاب).

وتعزز ذلك بإيواء إيران كثيرًا من رجال القاعدة عندها والهاربين من أفغانستان. وفي سنة ٢٠٠٢م وصف بوش إيران والعراق وكوريا الشمالية والسودان بأنهما محور الشر، وشعر خاتمي بفشل سياسته المتعلقة بإرضاء أمريكا، فهددت إسرائيل إيران بضرب مفاعلاتها النووية، فردت إيران بتهديد إسرائيل بضربها بصواريخها البالستية.

ومنذ سنة ٢٠٠٠م فإن المحافظين الجدد في أمريكا كانوا يعدون سرًّا للقضاء على قوة العراق، واستعدادهم لتسلم الحكم في أمريكا. وعلى رأسهم بوش ورامسفيلد وديك تشيني، مقدمين رؤيتهم لشرق أوسط جديد، عبرت عنه رايس بالفوضى الخلاقة، وأن هذه الفوضى ستكون ولادةً عسيرة ومؤلمة لشرق أوسط جديد، وقد أيدت إسرائيل هذه الخطة للتخلص من تهديد العراق، واتضحت الخطة أنها تريد إعادة رسم خارطة الشرق الأوسط بشكل يفيد إسرائيل، ولما أدركت إيران بنوايا أمريكا في غزو العراق، بدأت تحضر ما يجب أن يكون في صالحها، فمدت يد التعاون في اجتماعات عقدت بين جواد ظريف وزير خارجيتها وزلماي خليل زاد الأمريكي من أصل أفغاني، وبدأت جميع الأطراف التي يعنيها هذا الغزو التحضير لما هو قادم، قدمت إسرائيل مساعداتها الاستخبارية في شمال العراق، لكونها على صلة بحكم البرزاني، كما قدمت إيران مساعداتها في حث العراقيين الهاربين عندها أو عند غيرها في سوريا وأمريكا، لأن هذه الجماعات جاهزة للثأر من نظام صدام.

احتلال أمريكا للعراق:

سقوط النظام العراقي بعد ثلاثة أسابيع من بداية الحملة العسكرية للجيش الأمريكي كان مفاجئًا للإيرانيين، فخافت إيران أن تكون على الطريق نفسه من الاحتلال الأمريكي، ولذا قدموا تنازلات كبيرة تفاجأت بها أمريكا، كموافقتها على تفتيش أسلحتها النووية، وتوقيعها على معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية، وموافقتها على عملية السلام مع الفلسطينيين، التي وافقت عليها الدول العربية، كما عرضت المساعدة على تذليل العقبات لحكم العراق وعدم إنشاء دولة دينية، كما قدمت لأمريكا المشاركة والمساعدة في أهم أهداف أمريكا، وهي محاربة الإرهاب وعدم تصنيع أسلحة ذرية، كما قدمت لأمريكا أن تسلمها رجال القاعدة، الذين لجؤوا إليها من أفغانستان، في مقابل طرد وتسليم رجال منظمة خلق، الذين كانوا في العراق، وقامت بتحييد المعارضة الفلسطينية وحزب الله اللبناني، بألا يقوموا بأي أعمال ضد إسرائيل، كل ذلك وغيره ربما من أسرار في مقابل رفع الحظر على أنشطتها العسكرية والتجارية، وتسليمها لأموالها المجمدة. وعدم التدخل عمومًا في سياسة إيران، واحترام مصالحها القومية في المنطقة. وفي البداية رفض المحافظون الجدد خاصة ديك تشيني ورامسفيلد العرض الإيراني، محتجين بأن إيران تبقى محورًا للشر، وتوجهاتها تلك لم تكن صادقة، بل ستكون وسيلة للخداع. فاتجهت إيران إلى إسرائيل لاستخدامها في إقناع الأمريكيين بعرضها، وقد جرت مباحثات أولية بين الإيرانيين والأمريكان حول ما عرضته إيران، وقد قامت السفارة السويسرية بطهران بالمساعدة في نقل وجهة النظر الإيرانية والمباحثات التي جرت في جنيف في الوقت نفسه، الذي كان فيه بعض المحافظين الجدد يرون أن الفرصة باتت مواتية لإسقاط حكم الملالي في طهران، وشعرت إيران بأن عرضها غير مقبول، وأنه يجب عليها تغيير سياسة الضعف والاستسلام أمام أمريكا إلى

التظاهر بالقوة، لكي تحصل على ما تريد، حينما تحين الفرصة خاصة وأن إيران باتت تلعب في الساحة العراقية عن طريق القوى الشيعية المرتبطة بها دورًا مهمًّا. ولكن أمريكا اكتشفت أن إيران بإمكانها أن تؤدي خدمات وأعمال خاصة في العراق والشام عوضًا عن أمريكا خاصة في القضاء على القوى السنية في غرب العراق وشماله، وقد تحقق ذلك فعلًا عن طريق سياسة تهجير السنة من مناطقهم، وإحلال الشيعة محلهم، مما جعل إيران تتبنى توسيع دائرة الاتهام في محاربة الإرهاب، كما تشتهي أمريكا وإسرائيل، واتخاذها وسيلة لتحقيق أهداف الطرفين.

أمريكا وإسرائيل ونشاط إيران النووي:

منذ عهد الشاه والإيرانيون يتطلعون لمعرفة أسرار القنبلة النووية، وفي سنة ١٩٧٥م سهلت أمريكا للإيرانيين معرفة تلك الأنشطة، ولكنها لم تتقدم لعمل مفاعلات نووية لتخصيب اليورانيوم، ولكن بعد الثورة الإيرانية ومنذ التسعينيات بدأت إيران في خطوات عملية، غرضها امتلاك المعرفة للدخول في الصناعة النووية، وبدت إسرائيل قلقة من تلك التوجهات الخطرة، خاصة وأن إسرائيل فكرت أنه في الوقت الذي تستطيع فيه إيران الدخول في النادي النووي فإن ذلك سيجعلها في وضع مهيب أمام أمريكا، خاصة وبدأ الإسرائيليون يفكرون في دوافع إيران، فاتجه أكثرهم بأن دوافعها لم تكن فكرية إسلامية، وإنما أكثرها دوافع قومية فارسية، تتطلع فيها إلى السيطرة على المنطقة، وابتزاز أمريكا وإسرائيل على السواء، وأكثر ساسة إسرائيل يعتقدون أن حكومة إيران على الرغم من أنها ذات توجهات مذهبية، إلا أنهم في احتمال استعمالهم لقنابل ذرية ضد إسرائيل هم أكثر حكمة وتعقلًا في سياستهم، استنادًا إلى قراءتهم لسياسة الثورة الإيرانية الهادئة والصبورة، والتي تتمتع بالتعقل والحكمة، خلافًا كما يقولون لسياسة صدام حسين غير الحكيمة في حربه مع إيران وفي دخوله

الكويت، وعمومًا فقد وضعت أنشطة إيران النووية تحت المراقبة، ومرت أوقات فكر فيها البعض في إسرائيل بضرب المنشآت النووية، التي يجري بناؤها، كما فعلت بتدمير المفاعل النووي العراقي في الثمانينيات، حيث فكر زعماء إسرائيل بأن تقوم إيران بتزويد وكلائها بقنابل نووية، فاعتبروا أن ذلك أمر مستبعد، واستنتج المنظرون الإسرائيليون وكثير من الأمريكان أن دوافع إيران النووية ستستمر حتى لو تغير النظام المذهبي الديني، فلو جاء نظام علماني فمن المرجح عندهم أن تستمر إيران في السير لاستكمال نشاطها النووي، فالأمر ليس متعلقًا بالأيديولوجيا، وإنما بأمور أكثرها ذات دوافع سياسية، واستنتج هؤلاء أن بقاء حكم الملالي ربما يكون أسهل في التعامل مع غيرهم من المجهولين[1]. ومن المعلوم أن محمود أحمدي نجاد كان قد صرح في ١١ نيسان سنة ٢٠٠٦م بأن إيران قد دخلت النادي النووي، وأنها نجحت في تخصيب اليورانيوم، وأنها أصبحت ثامن دولة تمتلك تقنية تخصيب اليورانيوم منخفض المستوى، وأكدت إيران أن هذه الأنشطة تخدم الأغراض السلمية. وقد طلبت أمريكا والدول الغربية من إيران إيقاف أو تعليق تخصيب اليورانيوم فرفضت ذلك، وأصبح هذا الموضوع مثار نزاع وتخوف من امتلاك إيران للقنبلة الذرية، إلى أن انتهى الحال بتوقيع إيران وأمريكا على الاتفاق النووي سنة٢٠١٦. وترك موضوع التسليح الإيراني عمومًا قلقًا في المنطقة، فإن تُركت إيران تستكمل قدراتها النووية والتسليحية، فإن مستقبل المنطقة في خطر، خاصةً وأن إيران عازمة على تمديد نفوذها وتدخلاتها في المنطقة، وإن أقدمت أمريكا أو إسرائيل على ضرب منشآت إيران التسليحية والنووية، فإن ذلك سيثير العديد من المشكلات في دول الجوار، لاحتمال رد إيران وانتقامها من جيرانها الأقربين (دول الخليج العربي) بدعوى ضرب المصالح الأمريكية، وعمومًا فإن الدول العربية ودول الخليج العربي خاصة تشعر

(١) تأليف تريتا بارزي: ترجمة: أمين الأيوبي. (حلف المصالح المشتركة التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة)، بيروت، ٢٠٠٨م.

بأن اتفاق أمريكا وإيران الأخير قد وضع المنطقة في إشكالات مستقبلية، والشعور بأن أمريكا قد خذلت حلفاءها في دول الخليج خاصة، مما ولد لديها سياسة الاعتماد على الذات، وتكوين تحالفات عربية وإسلامية للوقوف أمام الأطماع الإيرانية[١]. وتشير بعض المصادر الأرجنتينية إلى أن إيران كانت تنوي شراء قنبلة نووية جاهزة من كازاخستان بعد تفكيك الاتحاد السوفيتي.

مشروع إيران النووي:

امتلكت إيران مفاعلًا نوويًّا صغيرًا لأغراض البحث والأغراض الصحية، وكان ذلك في عهد الشاه، ولكنها بعد الثورة سعت بطريقة جادة إلى تخصيب اليورانيوم، وبدأت في إنشاء البنية التحتية لعدة مواقع كانت سرية في أول الوقت، لكنها كشفت فيما بعد، وذكر كاتب كتاب (العد العكسي للأزمة) المواجهة النووية المقبلة مع إيران (إن على بعد ٥٠ كيلومترًا جنوبي غربي ناتا نز أنشأ حرس الثورة في إيران منشأة عميقة في الرض، ويبلغ عرض باب هذه المنشأة ثمانية عشر مترًا بارتفاع سته أمتار، ويوجد داخل هذه المنشأة نفق طوله ستون مترًا، يؤدي إلى دائرة داخل الأرض ذات قطر واسع، يسمح بمرور شاحنة جرار ذات مقطورة بدوران، دون أي عائق، وتوجد هناك ستة أنفاق تؤدي إلى حجرات منفصلة تحت الأرض، وتحتوي على اثنين من مستودعات التخزين المصلدة على صواريخ شهاب -٣ زود كل منها بجرار مارسيدس، وبمقطورة إطلاق، مصممة خصيصًا لذلك)، وبحسب ما ذكر صاحب الكتاب نقل عن حرس الثورة: «أن هذه الصواريخ يمكن إخراجها وملأها بالوقود وإطلاقها في غضون ٢٥ دقيقة، ثم التسلل مره أخرى إلى جوف الأرض قبل وقوع أي هجوم انتقامي، وهى قادرة على إصابة أهدافها بدقة في إسرائيل، ويوجد في مستودعين آخرين للتخزين ثمة مجموعة تعاقبية

(١) عصام نايل المجالي: تأثير التسلح الإيراني على الأمن الخليجي، ص٨٦ وص١٤٩، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ٢٠١٢م. برنار أوركاد: جغرافية إيران السياسية، ص١٧٨-١٨٠، (جروس برس ناشرون)، لبنان، طرابلس، ٢٠١٢م.

سرية من الفرازات الطردية لتخصيب اليورانيوم أما الحجرتان المتبقيتان تحت الأرض تتسعان لخمسة عشر رأسًا نوويًّا جاهزًا للتحميل في الصواريخ، كما توجد مستودعات تخزين جوفية مصلدة بالقرب من أصفهان، اشتبهت وكالة الاستخبارات الأمريكية أن إيران تستخدمها لإنتاج فلوريد اليورانيوم سرًّا، لتحويله إلى وقود للأسلحة النووية، كما يوجد في العاصمة طهران مصنع يشتبه فيه بالقيام بعمليات تخصيب، وهو الذى هدمته إيران في عام ٢٠٠٣م لمنع الوكالة الدولية من معرفة الغرض الذى يستخدم فيه، كما يوجد مختبر في بار شين يشتبه في صناعة الأسلحة، وهو ينتج متفجرات اتش ام اكس، وهى تحديدًا من متفجرات شديدة القوة من النوع الفائق، الذى تحتاجه العدسات غير النووية لإطلاق الانفجار الداخلي النووي»، هذا ما قرأناه من كتابة الكاتب، وقد أورد الكاتب تفاصيل عن مواقع تخصيب اليورانيوم وكميات التخصيب، كما أورد أن العالم النووي الباكستاني عبدالقدير خان قد ساعد إيران في أنشطتها النووية وأورد وثيقة من الجمارك الفرنسية، تشير إلى شحن معدات وآلات لها علاقة بهذا النشاط، وقد أورد صاحب الكتاب وثيقة تفيد بأن وزارة التجارة الأمريكية سمحت لشركات أمريكية بتصدير أجهزة مقايس الطيف والمعدات العلمية، التي يتم استخدامها في تخصيب اليورانيوم إلى معهد البحوث التربوية في لفيزان، وهو الموقع الذى تشتبه فيه الوكالة الدولية للطاقة الذرية، بأنه ضم مصنع سري لتخصيب اليورانيوم في التسعينيات، كما أورد وثيقة أخرى تفيد بأن وزارة التجارة الأمريكية قد غضت النظر عما أوردته شركة أمريكية عن قيامها بتصدير معدات كشف الأشعة إلى مصنع فولاذ ، الذى يقع على بعد مئات الأميال من أصفهان. وقيل: إن إيران قامت بشكل آحادي بتدمير أجهزة ومعدات مشابهة لتلك في مصنع لفيزان عام ٢٠٠٤م، كما ذكر الكاتب أيضًا عن بعض الجهات التي تتعامل مع النظام الإيراني بمدة بالتكنولوجيات تصميم الصواريخ والمعدات العامة ذات الصلة، ذكر منها:

١- المعهد المركزي لعلوم الديناميـة الهوائيـة والهيدروليـة المعـروف (تسـاغي).

٢- جامعة يومان التقنية.

٣- جامعة دول البلطيق التكنولوجية.

٤- معهد موسكو للطيران، وكل هذه الجهات ساعدت طهران في برنامجها النووي، حسب الوثيقة المذكورة، ملحق رقم ١ موردو تكنولوجيا الصواريخ الروس لإيران، كما أن هناك منشآت نووية لم تفصح عنها إيران إلا متأخرًا، مثل منجم اليورانيوم الواقع في ساغند يزد لا يخضع للإجراءات الوقائية، بدأ العمل في هذا المنجم مطلع التسعينيات، وتسعي إيران إلى أن يبدأ الإنتاج في عام ٢٠٠٦م بكمية تعادل ٥٠ طنًّا في السنة، وذكر الكاتب أن مفتشي الوكالة الذرية للطاقة زاروا الموقع في عام ٢٠٠٤م، كما يوجد مصنع تهذيب الخام يقع هذا المصنع في أردكان زاد كما لا يخضع للإجراءات الوقائية، ويبلغ الإنتاج السنوي لهذا المصنع ٥٠ طنًّا من أكسيد اليورانيوم المركز المستخرج من محيط منجم ساغاند، كما يوجد منجم ومصنع تهذيب اليورانيوم الذي يقع في جثين بندر عباس ادعت إيران أن هذا المنجم والمصنع ينتج فقط بضعة كيلومترات من أسيد اليورانيوم المركز، وقد تم محو أي أثر لهما قبل أن يصل مفتشو الوكالة الذرية للطاقة[١]. واليوم ربما تسعى أمريكا في عهد الرئيس ترامب إلى إلغاء المعاهدة النووية مع إيران، وستجد إيران بذلك فرصتها لاستكمال مشروعها النووي السري، والتخلص من المراقبة الدولية على منشأتها النووية، وإذا

(١) كينث آر. تيمرمان: العد العكسي للأزمة، (المواجهة النووية المقبلة مع إيران)، ص٥ وما بعدها، دار العلم للملايين، لبنان، عام ٢٠٠٦م.

استمرت سياسة أمريكا في كل من العراق والشام سيشجع إيران مستقبلًا على مزيد من التمدد، وسيكون الأردن والحدود العراقية السعودية هما الخاسرتين الأضعف أمام إيران وحلفائها، وقد تدفع إيران بقايا المتطرفين الإسلاميين بعد خسارتهم في الموصل والرقة إلى استخدامهم لزعزعة هاتين الخاسرتين، وليس على السعودية ودول الخليج إلا الاعتماد على أنفسهم ومحاولة إحياء تحالف عربي وإسلامي ضد تلك القوة[1].

إخفاق سياسة الاحتواء:

اعتمدت إيران على نفسها كثيرًا، ذلك من خلال العزلة التي حاولت السياسة الأمريكية فرضها عليها، وسياسة فرض الحظر عليها، فقد دفعها كل ذلك إلى الاعتماد على النفس في تصنيع احتياجاتها الداخلية، وإيجاد حلفاء غير أمريكا، فبدأت إيران تبني قوتها الذاتية، فقد ساعدت سياسة أمريكا نفسها بظهور إيران كقوة إقليمية، وذلك للأسباب التالية:

١- دمرت أمريكا قوة النظام الأفغاني السني، الذي كان يهدد إيران من جهة الشمال، كما سبق أن أوضحنا ذلك.

٢- دمرت أمريكا قوة نظام صدام في العراق، الذي كان المنتصر في حربه ضد إيران، فباحتلال أمريكا للعراق أزيح عن إيران أكبر قوة في شرق إيران، كما شرحنا ذلك سابقًا.

٣- أظهرت إيران نفسها في الشام وذلك سنة ٢٠٠٦م، عندما قام حزب الله اللبناني المؤسس والممول من إيران بأسر جنديين إسرائيليين

(١) طلال عتريسي (إيران الدولة الصعبة، إيران في تحولاتها الداخلية وسياستها الإقليمية)، ص٦٦-٦٧، دار الساقي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦م. شاهرام تشوبين: (طموحات إيران النووية)، ترجمة بسام سيحا، ص١٩٣، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م.

على الحدود، فقامت إسرائيل بالرد وتدمير منصات الصواريخ ودك الضاحية الجنوبية في بيروت بالقنابل، وهي مركز الحزب في لبنان، ولكن مقاتلي حزب الله المدعومين والمدربين في إيران قاموا بالرد بقوة وخبرة على الدبابات الإسرائيلية في الجنوب، وقتل كثير من جنود إسرائيل، وفك طلاسم المخابرات العسكرية الإسرائيلية، وضرب بارجة إسرائيلية قرب سواحل بيروت، وقد استمرت هذه الحرب أكثر من شهر بقليل، خرجت منها إسرائيل منكسرة بعض الشيء، حيث فوجئت بصمود القوة اللبنانية، مما شجع إيران أن تتقدم كقوة إقليمية تفرض إرادتها في العراق والشام ولبنان، كما مدت الحوثيين بالأسلحة في حرب اليمن، جميع هذه النجاحات جعلت أمريكا تفكر: إما بالوقوف بالقوة ضد انتشار القوى الإيرانية، وفي ذلك دفاع عن الدول العربية، وخاصة دول الخليج العربي، وهذا أمر استبعد فقد قيل: إن إيران تستطيع الرد بما لديها من قوة بشكل يفاقم الأوضاع في الخليج، ولا يمكن السيطرة بشكل جيد على ما يمكن أن تحدثه إيران من تدمير. وإما التفاهم مع إيران وعقد صفقة تحفظ معها المصالح الأمريكية بالدرجة الأولى ومصالح إسرائيل غير مكترثة بالآخرين، وقد بررت هذه السياسة بأنها الأقل كلفة، ومن المناسب إشعار الإيرانيين بالمشاركة في رسم علاقاتهم الخارجية، وتحقيق بعض أهدافهم وأحلامهم ما زالت في وضع يسهل توجيهها والسيطرة عليه إلى حد متوازن. ولكن السؤال الذي يطرح هنا: هل ستكتفي إيران بالمشاركة السياسية السلمية في المنطقة، أم ستعمد إلى سياسة التوسع الأيديولوجي، واستخدام الفكر المذهبي الشيعي لإخضاع مخالفيها، وتهديدهم عن طريق إشعال الفتن المذهبية، والتدخل في شؤون الغير، وإشعال النزاعات والخلافات في الدول المجاورة، خاصة ويبدو

أن إسرائيل لا تمانع في سياسة دمج إيران وإعطائها دورًا سياسيًّا للمنطقة، طالما أنها لا تهدد بذلك إسرائيل لا بشكل مباشر ولا بغير مباشر عن طريق حزب الله أو الفلسطينيين، وقد طرح بعض ساسة إسرائيل أن الحلول السلمية مع إيران والتفاهم معها قد يكون المفتاح الأول لحل القضية الفلسطينية[١].

(١) تريتا بارزي: حلف المصالح المشتركة التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة، ترجمة: أمين الأيوبي، ص١٤٠ وما بعدها، بيروت، ٢٠٠٨م.